المحاضرة 3: ايمانويل كانط 1724-1804

تمهيد:

حياة الفيلسوف الألماني كانط هي حياة هادئة لا بذخ فيها ولا عواصف، فيلسوف منفرد ولد سنة 1724 بمدينة كوينغزبرغ الواقعة اليوم ببروسيا الشرقية على بحر البلطيق بعيدة عن ألمانيا.

بعد الحرب العالمية الثانية الحقت هذه البلدة بالجمهورية الروسية وأخذت اسم آخر كالينغراد قضى فيها حياته التي بلغت حوالي 80 سنة، تعلم فيها ودرس وعمل في جامعاتها كأستاذ مساعد لمدة خمس سنوات 1755م إلى 1770م عين كأستاذ لكرسي المنطق والميتافيزيقا حكم هذا المنصب 27 سنة حتى تقاعد سنة 1779.

يعتبر كانط النظر الفلسفي مجاله الحميم الذي لا يريد أن يشاركه فيه أحد، كان يقرأ ويحلل في هدوء الليل والعزلة، هناك من يشك بأنه فيلسوف آلماني وهناك من يقول العكس، أبوه يدعى يوحنا جورج كانط، من عائلة متدينة ضمن الطائفة التقوية وتسمى البروتستانتينية خارجة من تعاليم لوثر، ماتت أمه وهو في الرابعة وأبوه في عمر 22 سنة، في السنة الثامنة من عمره تعلم مبادئ التقوية في كلية فردريك أمضى فيها ثمانية سنوات، تعلم اللغة اللاتينية، الأدب اللاتيني، كان ليس معجبا بالتعليم الديني، على أساس أنه مجرد طقوس وشعائر آلية، دخل جامعة كينغزبرغ 1740 أمضى فيها ستة سنوات تعلم فيها الفلسفة، اللاهوت، الرياضيات، الطبيعة وكانت أنداك جامعة تدرس فلسفة ليبنيتز طبيعيات نيوتن.

كان كريستيان وولف، ألكسندر بومغارتن أساتذة يدرسون فلسفة ليبنيتز مارتن نتسن يدرس الفلسفة والميتافيزيقا كانط كان طالبا وكان من أتباع وولف نتسن تخرج من الجامعة ولم يتلقى أي وظيفة كان يلقي دروس للأثرياء غادر كينغزبرغ وعاد إليها عام 1755 حصل فيها على شهادة الدكتوراه موسومة "بصورة العالمين المحسوس والمعقول ومبادئهما" وفي هذه الفترة بدأت مرحلة التأليف.

ومن بين مؤلفاته:

_ شرح جديد للمبادئ الأولى للميتافيزيقا

_ التاريخ الطبيعي والعام ونظرية السماء

كان يحاضر في المنطق، الميتافيزيقا، الأخلاق، الطبيعة، الرياضيات، يضاعف جهده من اجل زيادة الدخل، وبعد ذلك أصبح أستاذا محاضرا في هذه الجامعة. تأثر بليبنيتز، نيوتن وغيرهم

_ ألف أيضا كتاب نقد العقل الخالص سنة 1781 وهو كتاب في غاية الصعوبة وقد اعترف كانط بصعوبته، لدقة الموضوعات المطروحة فيه قضى فيه 11سنة وضع له مقدمة ومدخل ولم ينل في البداية القراء أعاد نشر الطبعة الثانية وأضاف له مقدمة الطبعة الثانية هنا بدأت تتضح معالم هذا المؤلف.

_ نقد العقل العملي 1788

_ نقد ملكة الحكم 1789

_ الدين في حدود مجرد العقل 1793

_ السلام الدائم 1795 ... الخ من المؤلفات التي استطاع من خلالها بناء فلسفة تدعى الفلسفة النقدية

1_ بدايات الفلسفة والمنهج النقدي عند كانط:

هناك من بين أن بداية المنهج النقدي عند كانط كانت منذ أن تأثر بليبنيتز، بأنه يرى أن أو يعطي قيمة للتصورات المجردة أهمية أكثر من معطيات الإدراك الحسي، وهذا طريق لبناء فلسفة لذلك كان متحمسا لدراسة ليبنيتز، وقيل أنه حين كان يميل إلى التجريبية كان مرغما وذلك ما يتجلى في كل مؤلفاته ولكن هناك من يقول انه حاول التوفيق بين منهجين، المذهب العقلي الذي مثله كل من ديكارت سبينوزا، ليبنيتز والمذهب التجريبي في فلسفات لوك، بركلي، هيوم لكن هناك من بين أنه وفق بين ليبنيتز وهيوم، وأخرون يقولون أنه وفق بين ليبنيتز ونيوتن، وهذا ما يتضح في نظرية المكان، الزمن، الجوهر، العلية لكن رغم ذلك هيوم يبقى في ذهن كانط الذي شكل عقلية الفلسفة، وفي بعض أقواله كان يقول أفقتني من سباتي.

كانط ليبنيتز تعرف عليه وعلى مؤلفاته المونادولوجيا، الإلهيات، من خلال وولف، من خلال كتابه في الميتافيزيقا، وليبنيتز كان يحبه كانط حين كان طالبا. عندما نشرت مقالات جديدة عن العقل الإنساني 1765 ومن خلال مراسلات ليبنيتز مع كلارك تعرف كانط عليه وكان موقفه ما يلي:

_ ماله فاعلية موجود وما ليس له ليس موجود.

_ المادة ليست امتداد وحركة.

_ المادة في ماهيتها قوة والقوة ميل الجسم للحركة والاستمرار فيها.

_ قانون حفظ القوة أو الطاقة.

_ الاجسام متعددة ومن ثم تتعدد القوى.

_ عدد القوى لامتناه كل منها جوهر بسيط لا تنقسم هذه القوى الى مونادات.

_ الحواس تثير الاستعدادات القطرية لكن لا تخلقها.

_ الاستعدادات موجودة بالقوة.

_ الحواس تبرر هذه الاستعدادات لكن لا تبرهن على يقينها مقولات مثل: الوجود، الجوهر، الوحدة، الهوية، العلية، الادراك الحسي، الكم والكيف، نفسر بها المبادئ القائمة.

مثال:

_ الجوهر هو ما يكون موضوعا وليس محمولا.

_ الادراك الحسي أفكاره ليست واضحة والعقل الخالص وظائف للموناد.

_ الادراك الخالص أفكاره واضحة.

2_ تأثر كانط بالفلاسفة السابقين:

_ أخذ فكرة النقد عن لوك أي لا يمكن بناء مذهب ومنهج جديد دون نقد ما كان سابقا

_ ضرورة البدء بالخبرة الحسية لإقامة أي بناء معرفي أو ميتافيزيقي.

_ لم يفهم بركلي في المثالية الذاتية لأنه لا يتقن الألمانية.

_ لم يقرأ كانط كتاب هيوم مقالة في الطبيعة الإنسانية.

_ بالإضافة إلى ذلك تأثر بأرسطو وديكارت.

3_ الفلسفة النقدية:

لفهم هذه الفلسفة يجب الإحاطة بنظرية كانط في نقد العقل الخالص وعندما نعود الى هذا الكتاب نجد كانط سنة 1781 عندما قام بنشر طبعته الأولى بمقدمة ومدخل وحينما صدرت الطبعة الثانية في 1787 أبقى المقدمة والمدخل ولكن أضاف مقدمة جديدة سماها مقدمة الطبعة الثانية في هاتين المقدمتين والمدخل شرح أسس الفلسفة النقدية.

كتاب نقد العقل الخالص موضوعه هو هل يمكن قيام علم اسمه الميتافيزيقا يكون له موضوع ومنهج شأنه شأن المنطق، الرياضيات، العلوم المتقدمة أو لا يمكن ذلك؟ وإن لم يتم ذلك نحكم على الميتافيزيقا بالنفي، ومعرفتنا للميتافيزيقا هي خبرة قبلية مستقلة عن الخبرة الحسية البعدية.

إن موضوع كتاب نقد العقل الخالص يتساءل الى أي مدى يمكن أن نأمل في الوصول الى شيء اسمه ما وراء الطبيعة؟ إن رسالة كانط في هذا الكتاب يمكن تلخيصها في ثلاث أفكار هي:

أ_ هناك عالم الظواهر هو العالم الذي الفناه عالم الطبيعة أو الفيزيقا عالم يحتوي على أشياء مادية جزئية ووقائع وحوادث طبيعية في زمان ومكان وهو عالم الخبرة الممكنة.

ب_ عالم الأشياء في ذاتها عالم الميتافيزيقا هو العالم المجرد تطرح فيه أسئلة هل الله موجود؟ صفاته؟ طبيعته؟ وهل الانسان حر؟ وما طبيعة النفس؟

يقول كانط عقل الانسان عندما يحاول التفكير في عالم الأشياء في ذاتها، فإنه يكون عاجزا في الإجابة عن اسئلته حيث يقع في المتناقضات، إذ يعجز عن معرفته معرفة مباشرة بالاستدلال، وهناك يقدم كانط حلا لهذا العقل، على الرغم من أن العقل لا يستطيع الخوض في معرفة هذا العالم لكنه قادر على أن يفكر فيه.

يؤكد كانط أن هناك أمور وأفكار في عالم الأشياء ذاتها لا يمكن البرهنة عليها، لكنها هي مواضيع نؤمن بها وإيمان كانط له أسس وقواعد وهذه الأسس هي أسس خلقية. في كتاب نقد العقل العملي.

رأى الميتافيزيقيين السابقين وبين أنه ليس لديهم منهج متفق لدراستها وفهمها، وسبب هذا الفشل أولا يعتقدون أن العقل يستطيع الإجابة على الأسئلة الميتافزيقية في حين نرى العكس هم مخطئون، أن التصورات القبلية للعقل هي محدودة ومقتصرة على المعرفة والبحث في عالم يدعى الظواهر فحسب، وليس لديه براهين كافية لتسأل تلك الأسئلة.

كانط سيضع لنا منهجا للميتافيزيقا وهذا المنهج ليس له خطوات أو قانون مثل بيكون...إلخ.

فقط المنهج استخدمه لكي يبين صدق أو بطلان الميتافيزيقا، هنا تأثر كانط بدفيد هيوم وجون لوك، حيث تشكلت لديهم فكرة محتواها إذا وجدنا كتاب في الميتافيزيقا لا يحتوي أي استدلال تجريبي ينبغي رميه في النار، إذن النقد هو إمكان قيام الميتافيزيقا.

أ_ العقل: الله، العالم، النفس هي مواضيع الميتافيزيقا.

ب_ المنطق: فيه مقولات النسبة، الجوهر والامكان.

ج_ الصور الحسية: المكان، الزمان ومواضيع الرياضيات.

د_ قضايا تجريبية: تصف خبرة معينة في الواقع.

هـ_ قضايا قبلية: عندها ضرورة ترنسندنتالية لاتصف واقعة معينة.

هناك تصورات قبلية نعم، لكن ليس لدينا معرفة متعلقة بعالم معقول فمعرفتنا محدودة بعالم الظواهر المعرفة في نظر كانط لن تتم الا بتظافر المعرفة القبلية والبعدية، وهذا هو التوفيق الكانطي. من الخبرة الحسية تبدأ معرفتنا ولا توجد معرفة سابقة عنا بزمان.

وملكة المعرفة عند كانط تحتوي على عناصر معينه:

_ العقل: كأداة مساعدة يؤلف بين المعارف بالاستنتاج.

_ الفهم: ملكة تفكير وملكة حكم تصنع الأشياء وتحررها في مقولات.

_ الحسية: ملكة حدس وهي فعالة تقيم علاقات حسية بين الأشياء لفهم العلاقات، الزمان والمكان.

إذن عند كانط ينتج أن الديالكتيك المتعالي الذي يمارسه ويقوم به العقل هو سفسطة، خطأ استدلالي عليه أن يتحول إلى عقل عملي يبحث في حدود الظواهر المحيطة بنا ويصبح مثلا بمثابة مشرع يسن لنا القوانين دون واسطة في ملكة العمل والرغبة، وملكة الرغبة تسمى الإرادة المستقلة وهذه الإرادة المستقلة عن كل شرط محسوس أو قانون طبيعي هي إرادة حرة تجعل من الإنسان حرا في عمله وتفكيره وسلوكه العقل العملي إذن هو عقل يؤدي إلى الحرية لهذا الإنسان بدون حرية ليس إنسان وهي التي تجعله مثلا يقوم بالعمل الأخلاقي من أجل العمل الأخلاقي أي الواجب من أجل الواجب، وبالقانون الأخلاقي ندرك بأننا أحرار.

إذن يرى كانط أن الميتافيزيقيين السابقين ليس لديهم منهج متفق عليه لدراسة الميتافيزيقا وسبب ذلك يعود إلى أنهم كانوا يعتقدون أن العقل يستطيع الإجابة على الأسئلة الميتافيزيقية في حين نرى العكس من ذلك هم مخطئون إن التصورات القبلية للعقل هي محدودة ومقتصرة على المعرفة والبحث في حدود الظواهر التي هي موجودة في عالم الظواهر، إن كانط يضع لنا منهج مناسب لقراءة وتحليل الميتافيزيقا وإمكانية

قيامها كعلم هذا المنهج ليست له خطوات أو أورغانون مثل بيكون، هذا المنهج استخدمه من أجل تبيان صدق وبطلان ذلك العلم أي علم الميتافيزيقا هذا المنهج هو المنهج النقدي أي نقد العقل الخالص وتبيان أنه يحتوي على قصور ذلك القصور جعل منه لا يستطيع الخوض في مثل تلك الأسئلة التي تطرحها الميتافيزيقا، وكانط في نقده للعقل الخالص جعل منه عقلا ذو حدود لا ينبغي أن يتجاوزها عليه أن يكون عقلا عمليا يفكر في حدود ماله علاقة بعالم الظواهر وعالم الأشياء المحسوسة، هناك تصورات قبيلة نعم لكن ليس لدينا معرفة متعلقة بعالم معقول معرفتنا هي محدودة بعالم الظواهر.

خاتمة:

فلسفة كانط النقدية تتمحور حول تحليله العميق لحدود قدرة العقل البشري على المعرفة. من خلال نقده للميتافيزيقا والتفكير الرتيب، أكد كانط على أن هناك حدودًا لما يمكن للعقل أن يفهمه ويعرفه، مما يجعل بعض الأسئلة مطروحة خارج إمكانياتنا العقلية. يبرز كانط أهمية الاعتراف بأن الواقع الظاهر للعقل قد يكون مختلفًا عن الواقع الذي يكمن خلف الظاهرات.

ومن ثم، يقدم كانط مفهومًا جديدًا للمعرفة الممكنة، مبنيًا على توجيه الانتباه نحو الظروف التي يمكن للعقل فيها أن يكون مؤهلاً لفهم الواقع. بفضل هذا النهج، يؤكد كانط على أهمية ميثاقية الفلسفة وضرورة تأسيس أسس المعرفة على أسس صلبة.

بالتالي، تختم فلسفة كانط النقدية برؤية متفائلة، حيث يظهر كانط كرائدٍ في إعادة بناء أسس المعرفة الفلسفية، مشيرًا إلى أن الاعتراف بحدود العقل لا يقلل من قيمته، بل يعزز الحاجة إلى التفكير الدقيق والمستمر في بناء فهمنا للعالم من حولنا.